

من لواذر الشعب

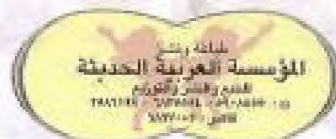


أشعبُ الطَّمَاعِ

شَخْصِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ ، اشتهرت بالنَّهَمِ
والشَّراهِةِ في الأكلِ ، يَعْتَبِرُهُ البَعْضُ أميرَ الطُّفَيْلِيِّينَ
بلا مُنازَعٍ ، حيثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدةٍ أو احتفالٍ أو عُرْسٍ
فيه طعامٌ ، دونَ أن يدعُوهُ أحدٌ أو يَنْتَظِرَ دَعْوَةً من أحدٍ .
وعلى الرُّغمِ من كُلِّ هذا ، فقد كان أشعبُ شَخْصِيَّةً
مَرِحَةً مَحْبُوبَةً ، تَتَسِمُ كُلُّ مَوَاقِفِهِ بالفُكاهةِ
والضُّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّةِ روحه
ومواقِفِهِ الطَّرِيفَةِ !

أشعب يبيع الظل !

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى



ابْتَسَمَتِ الْآيَّامُ لِأَشْعَبَ فَاشْتَرَى بَيْتًا كَبِيرًا فِي أَطْرَافِ
الْمَدِينَةِ ، تَحُوطُهُ حَدِيقَةٌ جَمِيلَةٌ فِيهَا مِنْ كُلِّ الزُّهُورِ وَالْأَشْجَارِ ،
لَكِنَّ أَشْعَبَ بَرِغَمَ ذَلِكَ قَدْ ظَلَّ مُسْتَمْسِكًا بِطَمْعِهِ وَبُخْلِهِ ، فَقَدْ
حَرَّمَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَجْلِسُوا تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الْأَشْجَارِ الْوَارِفَةِ
الظَّلَالِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَدْفَعُوا ثَمَنًا لِذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ يَدْفَعُوا الْمُقَابِلَ ،
فَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنْ أَشِيعَةِ الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ وَقَتِ الْقَيْظِ !

عَلِمَ أَحَدُ الْأَزْكِيَاءِ بِأَمْرِ أَشْعَبَ ، فَأَبْدَى اسْتِغْكَارَهُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

- لَا بَدَأَ أَنْ أَلْقَنَ أَشْعَبَ الطَّمَاعَ دَرْسًا لَا يَنْسَاهُ !

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ حَمَلَ أَمْتَعَتَهُ ، وَقَصَدَ



الْجُهَّةُ الَّتِي يَسْكُنُ فِيهَا أَشْعَبُ ، وَتَحْتَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ
حَطَّ رِحَالَهُ ، وَرَاحَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ، وَهُوَ غَيْرُ عَابِيٍّ وَلَا مَهْتَمٍّ بِمَا
سَوْفَ يَصْنَعُهُ أَشْعَبُ !

كَانَ أَشْعَبُ فِي طَرِيقٍ عَوْدَتِهِ إِلَى بَيْتِهِ يَرْكَبُ حِمَارَهُ ، وَبِمَجْرَدِ
أَنْ رَأَى هَذَا الرَّجُلَ نَائِمًا تَحْتَ ظِلِّ الشَّجَرَةِ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ حِمَارِهِ ،
وَأَسْرَعَ الْخُطَا وَهُوَ يَلْهَثُ ، حَتَّى جَاءَ الرَّجُلَ وَقَالَ فِي لَهْجَةٍ
غَاضِبَةٍ :

- مَا هَذَا يَا رَجُلُ كَيْفَ تُسَوِّلُ لَكَ نَفْسُكَ أَنْ تَنَامَ تَحْتَ شَجَرَةٍ
أَمْلَكُهَا ؟

فَرَكَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ فِي دَهْشَةٍ :

- وَمَاذَا فِي هَذَا يَا أَشْعَبُ ؟

أَمْسَكَ أَشْعَبُ الرَّجُلَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَقَالَ
فِي غَيْظٍ :



- أما علمت أنه ما من أحدٍ يجلسُ تحت ظلِّ شجرتي
هذه حتى يدفعَ ثمنَ ذلك ؟

ردَّ الرجلُ قائلاً :

- على أية حالٍ سوفَ أنصرفُ ، ولا شكَّ أنك ستتناوِ أجرك
وثوابك من الله !

ازداد أشعب في إمساكه بالرجل وقال :

- لن أسمحَ لك بالانصرافِ قبلَ أنْ تدفعَ مُقابلَ جلوسك
تحت ظلِّ شجرتي !

استجمعَ الرجلُ شجاعته وقال في حزم :

- وإن لم أدفعْ لك شيئاً ؟



ردُّ أشعْبُ في عُنْفٍ :

- إذن أوجعك ضرباً .

ثم بدت من أشعْبَ نظرةً شريرةً توحى بجديته في التهديد !

نظر الرجل إلى أشعْبَ نظرةً مآكرةً وقال في خُبثٍ :

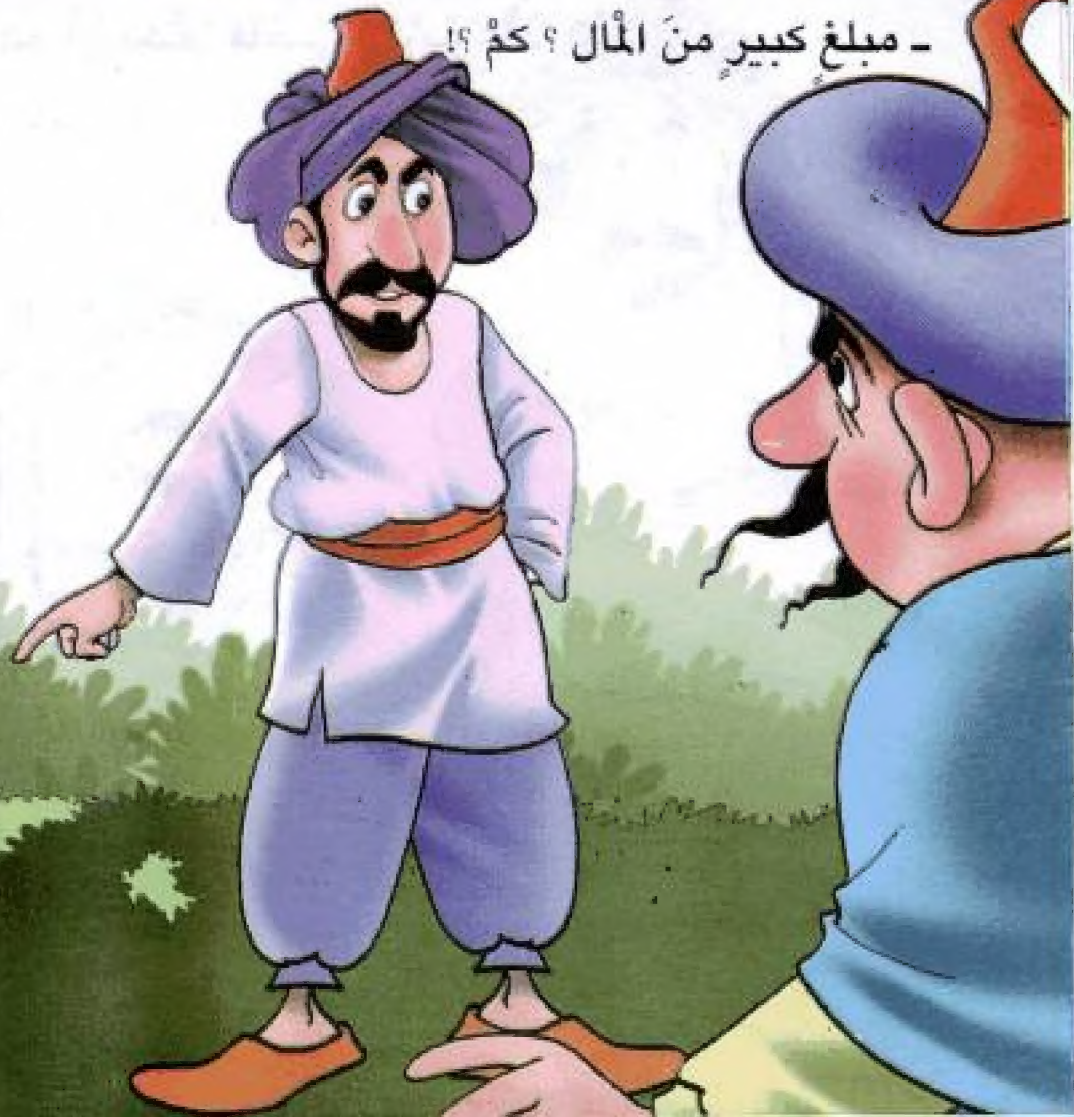
- سوف أعطيك حقك هذه المرة ، ولكني أريد أن أشتري ظلَّ هذه

الشجرة للأبد مقابل مبلغ كبير من المال ، فأنا رجل كثير الأسفار

والترحال .

انفجرت أسارير أشعْبَ وقال في انبساطٍ :

- مبلغ كبير من المال ؟ كم ؟ !



لاحت من الرجل ابتسامة وقال :

- مقابل خمسة دنانير كاملة !

ثم أضاف في نبرة حاسمة :

- ولكن لي شرط واحد ، حتى أتم هذه الصفقة .

وفي لهفة قال أشعب :

- كل شروطك مجابة . خمسة دنانير.. يالها من فرصة !

وجد الرجل أن فرصته في الكلام مناسبة فقال في ثقة :

- إن شرطي هو أن يكتب قاضي القرية عقدا

بهذا الاتفاق ، على أن يكون من

شروط هذا العقد أن أنتفع بظل هذه



الشَّجَرَةُ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ الْيَوْمِ ، وَفِي أَيِّ اتِّجَاهٍ يَصِلُ إِلَيْهِ
هَذَا الظِّلُّ !

لَمْ يَكْدُ يَكْمَلُ الرَّجُلُ كَلَامَهُ حَتَّى قَالَ أَشْعَبُ وَالْفَرَحَةُ تَقْفَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ :
- مُوَافِقٌ عَلَى كُلِّ شَرُوطِكَ يَا رَجُلُ . خَمْسَةَ دَنَانِيرَ ، يَا لَهَا مِنْ
فُرْصَةٍ !!

تَمَّ تَحْرِيرُ « عَقْدِ بَيْعِ ظِلِّ الشَّجَرَةِ » بَيْنَ أَشْعَبَ وَهَذَا الرَّجُلِ
بِمَعْرِفَةِ الْقَاضِي وَحُضُورِ الشُّهُودِ ، وَسَطَ ذُهُولِ الْجَمِيعِ
وَأَنْدِهَاشِهِمْ ، لِأَنَّ هَذَا الْعَقْدَ كَانَ الْأَوَّلَ مِنْ نَوْعِهِ .
عَادَ أَشْعَبُ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يَحْمِلُ الدَّنَانِيرَ الْخَمْسَةَ ،



وهو يكاد يطيرُ مِنَ الفَرْحَةِ ، بَيْنَمَا عادَ الرَّجُلُ الذَّكِيُّ
إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يَحْمِلُ عَقْدًا مُوثَّقًا عَلَيْهِ تَوَقِيعُ أَشْعَبَ ، وَرَاحَ
يَقُولُ لِنَفْسِهِ :

- إِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ !

لَمْ تَكَدْ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّالِي تَشْرِقُ ، حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي
اشْتَرَى الظِّلَّ جَالِسًا تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَعِنْدَمَا أَوْشَكَتِ الشَّمْسُ
أَنْ تَمِيلَ إِلَى الْغُرُوبِ كَانَ ظِلُّ الشَّجَرَةِ قَدْ اسْتَدَارَ حَتَّى أَصْبَحَ
دَاخِلَ بَيْتِ أَشْعَبَ نَفْسِهِ .

وَبمُوجِبِ الْعَقْدِ فَقَدْ دَخَلَ الرَّجُلُ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَوَضَعَ حَاجَتَهُ
وَرَاحَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ، بَيْنَمَا أَشْعَبُ
يَرَى مَا يَحْدُثُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ

فَلَا يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِ الرَّجُلِ
مِنَ الْجُلُوسِ تَحْتَ ظِلِّ
الشَّجَرَةِ .



مرَّت الأيامُ مُسرَّعةً ، ويتكرَّرُ نفسُ الأمرِ في كلِّ يومٍ ، وفي
أحدِ الأيامِ دعا هذا الرجلُ جماعةً من الأصدقاءِ على الغداءِ
معه تَحْتَ ظِلِّ الشَّجَرَةِ ، وبعد انْتِهائِهِمْ مِنَ الغداءِ راحوا
يلْهُونَ ويتسامرونَ بصوَّتِ مَسْمُوعٍ ، وأحدَثوا ضجيجاً جعلَ
أشْعَبَ يضعُ يَدَيْهِ في أُذُنَيْهِ مِنْ شِدَّتِهِ ، ولما استدارتِ
الشَّمْسُ ، وأصبحَ ظِلُّ الشَّجَرَةِ داخلَ بَيْتِ أَشْعَبَ ،
وثبَ الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ حتَّى أَصْبَحُوا داخلَ
حديقةِ المَنزِلِ ، وسَطَ ذُھولِ أَشْعَبَ
وعَجَزَه !



أَصْبَحَ بَيْتُ أَشْعَبَ الْهَادِي مَسْرَحًا لِلْأَحْدَاثِ الْمُتَلَاخِقَةِ ، ففِي
 كُلِّ يَوْمٍ تَتَكَرَّرُ نَفْسُ الْمَأْسَاةِ ، وَكُلَّمَا هُمْ أَشْعَبُ بَأْنُ يَفْعَلُ شَيْئًا
 تَذْكُرُ الشَّرْطَ الَّذِي شَرَطَهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَيَكُنْتُمْ ضَيْقَهُ فِي قَلْبِهِ
 وَيَرُوحُ فِي نَدَمٍ عَمِيقٍ ، وَيَخْلُلُ يَلُومُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ :
 - يَبْدُو أَنَّ أَشْعَبَ قَدْ رَاحَ ضَحِيَّةَ مُؤَامَرَةٍ ، أَحْكَمَهَا هَذَا
 الرَّجُلُ الْخَبِيثُ .

كَانَ أَشْعَبُ جَالِسًا وَهُوَ يَفْكُرُ فِي حُلٍّ لِهَذِهِ الْمَأْسَاةِ ، وَفَجَاةً
 انْتَفَضَ وَقَالَ لِنَفْسِهِ :

- إِنَّ أَثْرِيَاءَ الْبَلَدِ وَوُجُهَاءَ الْقَوْمِ
 سَوْفَ يَزُورُونِي غَدًا ،
 مَاذَا أَفْعَلُ ؟ يَجِبُ أَلَّا يَرَوْا
 شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَإِلَّا سَاعَتْ
 صُورَتِي فِي أَعْيُنِهِمْ .



مرّ الليل ثقيلاً على أشعب ، فقد بات يفكرُ في أمرِ زيارةِ
أصدقائه له ، وما قد يُسبِّبه الرجلُ الذي اشترى ظلَّ الشجرةِ
من إحراج ؛ واستمرَّ أشعبُ في تفكيره كثيراً ، وبعدها ذهبَ
إلى أصدقائه ليؤكدَ لهم على موعدِ الزيارةِ ويقودهم إلى بيتهِ
الجديد ..

كان أشعبُ يمتلئُ بنفسه بوظيفةٍ مُهمّةٍ ، يُنعمُ بها عليه أحدُ
الأمراءِ الذين وجّهَ إليهمُ الدُّعْوَة ، كما كان يسعى من وراءِ
هذه الدُّعْوَة إلى توثيقِ صلاته بوجهاءِ المدينة عسى أن
يجودوا عليه بالهدايا والمُكافآت ويدعّوه إلى ولائمِ الطَّعامِ
العامرة .



ابْتَسَمَ الْأَمِيرُ لِأَشْعَبَ ، وَهُوَ يَرْتَدِي عِبَاءَتَهُ وَقَالَ وَهُوَ يَرْبُتُ
عَلَى كَتِفِهِ :

- لَقَدْ سَعِدْتُ يَا أَشْعَبُ بِمَجْرِدِ أَنْ سَمِعْتُ أَنَّ أَحْوَالَكَ قَدْ
اسْتَقَامَتْ ، وَقَدْ اسْتَقَرَّ بِكَ الْأَمْرُ إِلَى الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِ فَحْمٍ !
ثُمَّ أَضَافَ :

- وَقَدْ ارْتَدَدَتْ سَعَادَتِي بَعْدَ أَنْ أَيْقَنْتُ أَنَّكَ أَصْبَحْتَ أَشْعَبَ
آخَرَ ، غَيْرَ أَشْعَبِ الطَّمَاعِ الْمُتَطَفِّلِ الَّذِي لَا هِمَّ لَهُ سِوَى السَّعْيِ
وَرَاءَ الْوَلَائِمِ وَالْمَوَائِدِ !

كَانَتْ الْفَرَحَةُ تَمَلُّ وَجْهَ أَشْعَبَ وَهُوَ يَسْمَعُ إِطْرَاءَ الْأَمِيرِ لَهُ ،
فَقَالَ وَهُوَ يَنْتَظَاهِرُ بِالْجِدِّيَّةِ وَالْاهْتِمَامِ :



- وَعِنْدَمَا تُشْرِفْنَا بِنَفْسِكَ سَوْفَ

تَرَى يَا مَوْلَايَ ، أَنَّ أَشْعَبَ قَدْ أَصْبَحَ حَقًّا إِنْسَانًا آخَرَ تَمَامًا .
رَبَّتَ الْأَمِيرُ عَلَى كَتِفِ أَشْعَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَشْعَبُ أَنْ دَعَا
بَاقِيَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَاصْطَحَبَهُمْ إِلَى بَيْتِهِ الَّذِي يَقَعُ فِي أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ !
لَمْ يَكُنْ أَشْعَبُ يَصِلُ إِلَى بَيْتِهِ بِصُحْبَةِ أَصْدِقَائِهِ ، حَتَّى أَوْشَكَ
عَلَى السُّقُوطِ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ هَوْلٍ مَا يَرَى ، حَيْثُ رَأَى الرَّجُلَ
الَّذِي اشْتَرَى مِنْهُ ظِلَّ الشَّجَرَةِ يَجْلِسُ هُوَ وَجَمْعٌ غَفِيرٌ مِنَ النَّاسِ
تَحْتَ ظِلِّ الشَّجَرَةِ الَّذِي كَانَ قَدْ امْتَدَّ حَتَّى دَخَلَ إِلَى حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ ..
اقْتَرَبَ أَشْعَبُ مِنَ الرَّجُلِ وَأَسْرَّ لَهُ بِكَلِمَةٍ فِي أُذُنِهِ ، حَيْثُ طَلَبَ
مِنْهُ الْأَنْصِرَافَ لَكِنَّ الرَّجُلَ قَالَ بِصَوْتٍ
يَسْمَعُهُ الْجَمِيعُ :



- لَنْ أَنْصَرِفَ أَنَا وَأَصْحَابِي ، وَيَجِبُ أَنْ تَلْتَزِمَ بِكُلِّ شَرْوْطِ الْعَقْدِ !

سَمِعَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ مَا دَارَ بَيْنَ أَشْعَبِ وَالرَّجُلِ فَسَأَلُوهُ فِي اهْتِمَامٍ :

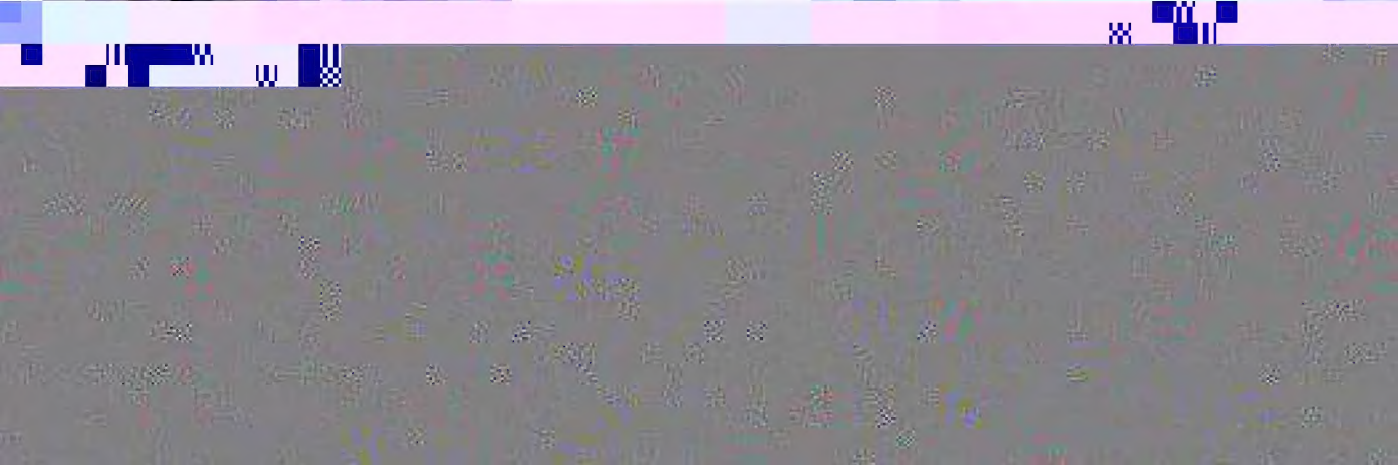
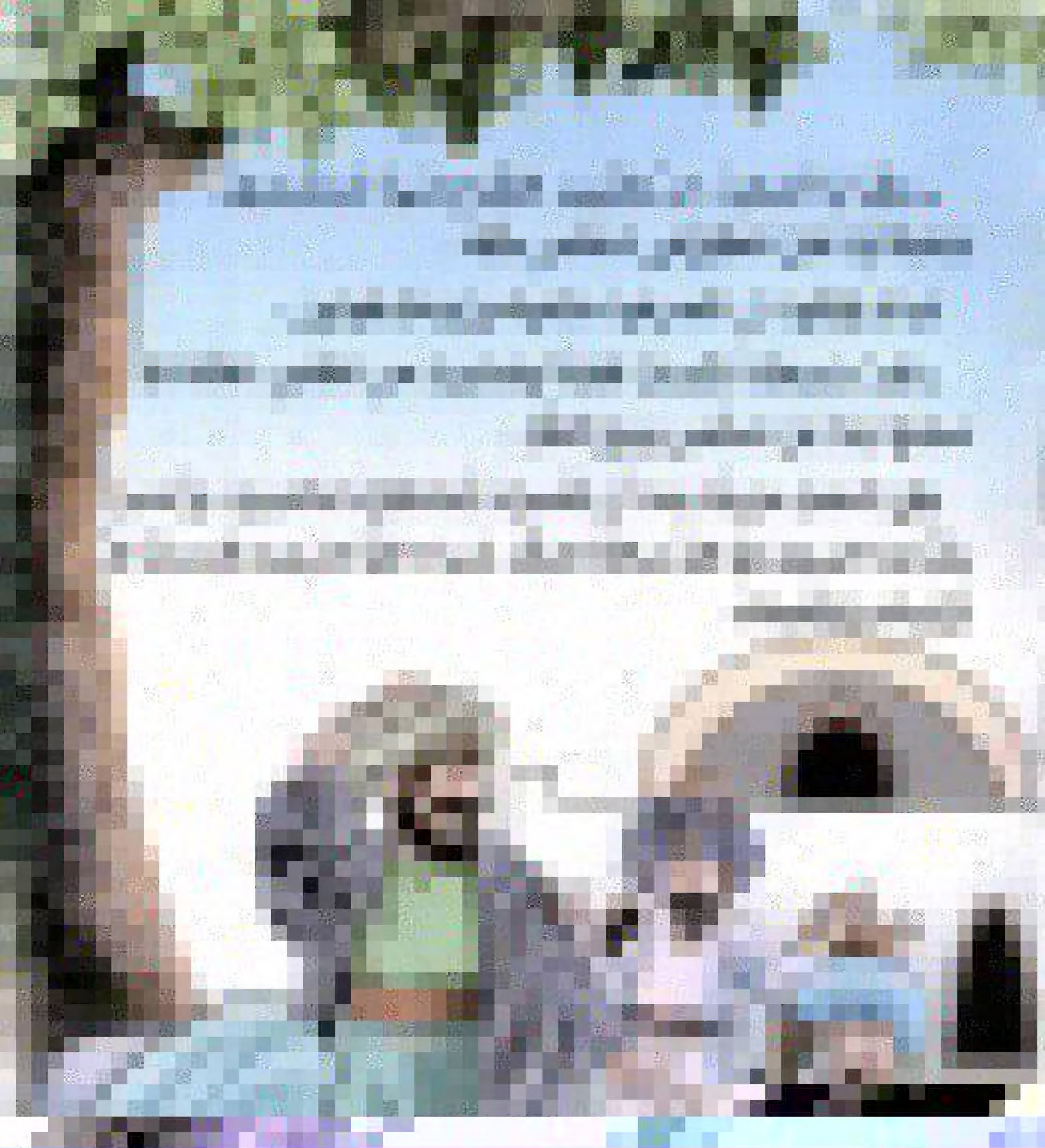
- مَا الْأَمْرُ يَا أَشْعَبُ ؟

تَلَعَّثَمَ أَشْعَبُ ، وَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا ، فَأَخْرَجَ الرَّجُلُ وَرَقَةً مِنْ جَيْبِهِ وَقَالَ فِي ذِكَاةٍ :

- لَقَدْ اشْتَرَيْتُ هَذَا الظِّلَّ مِنْ أَشْعَبَ ، وَمِنْ حَقِّي أَنْ أَنْتَفِعَ بِهِ فِي أَيِّ وَقْتٍ ، وَهَذَا عَقْدٌ مُوثَّقٌ بِذَلِكَ !

لَمْ يَكِدِ الرَّجُلُ يَتِمُّ كَلَامَهُ ، حَتَّى انْفَجَرَ الْأَمِيرُ وَمَنْ مَعَهُ ضَاكِكِينَ ، وَقَالُوا :





فَأَقْبَلَ أَشْعَبُ عَلَيْهِ يُسَاوِمُهُ عَلَى أَنْ يَسْتَرِدَّ نَفْسَهُ
وَيَفْسَخَ هَذَا الْعَقْدَ . نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى أَشْعَبَ وَحَيْرَتِهِ فَقَالَ :

- لَا مَانِعَ أَنْ أُعْطِيَكَ هَذَا الْعَقْدَ وَلَكِنْ مُقَابِلَ مِائَةِ دِينَارٍ !

كَادَ أَشْعَبُ يُغْمَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ الرَّجُلَ يَطْلُبُ هَذَا الْمُبْلَغَ
الْكَبِيرَ ، لَكِنَّهُ اضْطَرَّ عَلَى الرِّغْمِ مِنْهُ أَنْ يَرْضَخَ لَطْلِبِهِ وَذَلِكَ مَنَعًا لِلْمَشَاكِلِ .

دَفَعَ أَشْعَبُ الْمِائَةَ دِينَارٍ وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ ، فَأَخَذَهَا
الرَّجُلُ وَانْصَرَفَ ، بَيْنَمَا بَقِيَ أَشْعَبُ فِي حَالَةٍ مِنَ الذُّهُولِ
وَالدَّهْشَةِ ، بَعْدَ أَنْ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ فِي لَحْظَةٍ ، وَأَخَذَ يَقُولُ فِي حُزْنٍ :

- حَقًّا إِنْ الطَّمَعُ يُضَيِّعُ مَا جَمَعَ !

ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَلَسَ تَحْتَ الشَّجَرِ

وَرَاحَ فِي نَوْمٍ

عَمِيقٍ !!

